بائع اللبن لن يجيء

من عادة أمي الاستيقاظ مبكرا, قبيل الفجر بنحو الساعة, تصلي ركعتين وتستمع لقرآن الإذاعة, حتى موعد الآذان.. أستيقظ أنا في الخامسة, لألحق بالصلاة, بالكاد قبيل الشروق..

حجرتها ما زالت تغط في سبات, هذا ليس من عادتها!!.. العمر الذي تجاوز الستين يثقل عليها أحيانا..

توجهت إلى الثلاجة, لأخرج اللبن, وأضعه على الموقد.. الزجاجة فارغة.. تذكرت؛ هذا البائع لم يجيء بالأمس؛ ما يمنعه أن يُحضر اللبن لأمي؟!.. أمي تحب شربه على الريق, تحبه دافئا..

بعدما تستيقظ من غفوتها الطارئة؛ ماذا سأُقدم لها؟!..

أتلمس الطريق إلى الحجرة, أرهف السمع, لا يطرق أذني شيء, أدقق النظر من فُرجة الباب, الغطاء متكوم عليها, ما زالت رهينة السبات, ربما يناجيها أبي, من مكانه هناك بالسماء.. أو أنها تعود القهقري.. القهقري لزمن سحيق, وقت أن كانت محض طفلة, وحضرها "خراط البنات".. وقتئذ؛ استرعت انتباه أبي, وقف مدهوشا من الطفلة التي تحولت بين ليلة وضحاها لغادة حسناء..

قالت لي: أبوكِ كان في العشرين, كان فتيا, وكان يبحث عن عروس..

وقالت: أبوكِ رشي المأذون؛ ليتغاضى عن صغر العروس, ويتمم الزيجة..

تقول أيضا أنني أشبهها كثيرا..

أمي جميلة.. لها صورة قديمة, تغرد بالجمال.. لو أنني أشبهها حقا, كما تقول, ما تخطيت الأربعين بلا رفيق.. أمي هي البديل عن الزوج الذي لم يحضر, والطفل الذي بالتبعية لن يجيء..

بائع اللبن هو أيضا لن يجيء.. بالأمس نجح أبي في مأربه.. أبي دفع برشوة جديدة, وأخذها معه إلى السماء..